المصدر: البديل
التاريخ : ١٠ مارس ٢٠٠٩

قراصنة الصومال .. شياطين السواحل «٣»

مايحدث علي شواطئ الصومال ليس أعمال قرصنة حسب القانون الدولي
وأمريكا هي التي روجت لهذا المصطلح لنشر قوات جديدة في المنطقة
إبراهيم نصر الدين مدير معهد البحوث والدراسات الأفريقية:
القراصنة يعاملون السفن المارة كمخترقة للمياه الإقليمية.. والفدية بدل مصاريف المرور
وسط العديد من السيناريوهات التي وضعها المراقبون لخلفيات عمليات القرصنة الموسعة التي تشهدها سواحل الصومال، والأهداف السياسية والقوي التي تقف من خلفها، يطرح الدكتور إبراهيم نصر الدين، مدير معهد البحوث والدراسات الأفريقية رؤية مختلفة تذهب إلي أن ما يحدث قبالة السواحل الصومالية من اعتداء علي السفن لا يعد قرصنة بأي حال من الأحوال وفقا للقوانين والأعراف الدولية.

وقال: إن أمريكا هي القوة التي تقف وراء القراصنة لتصطنع ذريعة لتتواجد في المنطقة وتسيطر علي الملاحة البحرية، لافتا إلي أن أمريكا موجودة في قناة "السويس" و"بنما" ومضيق "هرمز" و"الدردنيل" و"البسفور" و"جبل طارق" ولم يبق لها إلا السواحل الصومالية للسيطرة علي جميع المضايق في المنطقة، وأكد أن من الأهداف الأمريكية وراء اصطناع تلك الظاهرة إنشاء قاعدة عسكرية في جزيرة "سوقطرة" اليمنية ذات الموقع الاستراتيجي، بعد أن رفضت اليمن هذا الطلب في السابق. وفي نص الحوار العديد من التفاصيل..

واشنطن روجت أن أعمال القرصنة تهدف لتمويل حركة شباب المجاهدين ولو كان ذلك صحيحا
لاستولوا علي ٢٤ دبابة أوكرانية كانت كفيلة بتغيير مسار الصراع في الصومال
مسئولو ميناء مقديشو سهلوا عمليات القرصنة والرئيس عبدالله يوسف كان يأخذ جزءاً من الفدية التي يحصل عليها القراصنة
كنديون وأمريكيون تابعون لشركات الأمن في الصومال قاموا بأعمال القرصنة
وتم الحكم علي بعضهم بالسجن ١٠ سنوات

ملف يحققه: يوسف شعبان

> ما تحليلك لأحداث القرصنة التي تقع بين الحين والآخر؟

- أولا أنا أنتمي لمدرسة لا تقبل أبدا، بخروج مصطلح في الغرب ثم ترديده في الفضائيات، حتي يصبح هذا المصطلح هو القاعدة التي تحكمنا، مثل مصطلح الإرهاب والعولمة والديمقراطية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وغيرها من المصطلحات.. ومن ثم، فدوري كأكاديمي أن أفند هذا المصطلح، بحثا عما إذا كان هذا المصطلح ذات دلالة؟.. أم أنه خرج لتحقيق غاية معينة؟.. ومن خلال البحث والدراسة، أقول : إن ما يحدث قبالة السواحل الصومالية، لا يعد قرصنة بأي حال من الأحوال.

> وعلام أسست هذا الرأي؟

- وفقا لقواعد القانون الدولي البحري وتحديدا اتفاقية جنيف ١٩٥٨ . لقد بدا أن هناك ٣ تصنيفات لتلك الأعمال، الأول منها نابع من وجهة النظر الغربية الأمريكية والتي صورت أن هذه أعمال قرصنة. أما التفسير الثاني، ومصدره بعض الصوماليين، أن تلك الأعمال نوع من أنواع الدفاع الشرعي عن النفس، بمعني أنه رغم عدم وجود دولة من الناحية الفعلية ـ موجودة من الناحية الرسمية كدولة معترف بها دوليا- إلا أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال لسفن وبواخر أن تدخل المياه الإقليمية الصومالية دون إذن ودون دفع رسوم ودون تراخيص ثم تأتي لتنهب الثروة السمكية في المياه الإقليمية وتلقي بنفاياتها قرب السواحل وتخرج من المياه الإقليمية دون أدني عقاب. حتي إن البعض يعتبر أن أموال الفدية هي مجرد رسوم. أما التفسير الثالث، أن هذا عمل من أعمال الإرهاب تديره الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مصالحها في المنطقة، وأنا أتبني هذا الرأي.

> دعنا نتحدث عن الرؤية الأولي، لماذا خرج مصطلح القرصنة، ولماذا تستبعد أن تكون هذه أعمال قرصنة؟

- الكلام علي أنها قرصنة، غير صحيح، لأن القرصنة لها تعريف محدد وواضح في القانون، أنها عمل من أعمال الإكراه يستهدف سفينة أو طائرة في أعالي البحار بهدف تحقيق منفعة خاصة للقائمين علي عملية الاختطاف. فإذا طبقنا هذا المفهوم علي ما يجري سنجد عدة أشياء، أولها أن هذا عمل من أعمال الإكراه، لكنه لم يحدث أن تم الاعتداء علي طاقم السفينة سواء كان بالقتل أو بالأسر أو الاستيلاء علي حمولة أي سفينة.

> لكنه كان يطالب بفدية؟

- منطق الفدية ليس له أي علاقة بالقرصنة. فمفهوم القرصنة أن يتم الاعتداء علي سفينة بهدف الاستيلاء علي السفينة بمحتوياتها وقتل طاقمها، أما أن تؤخذ كرهينة في مقابل فدية، فهذا ليس له علاقة بالقرصنة من قريب أو بعيد، كما أن غالبية ما يجري يتم في المياه الإقليمية، والأعمال الإجرامية لا ينطبق عليها لفظ القرصنة إلا إذا وقعت في البحر العام وخارج المياه الإقليمية. حتي لو أن هناك أعمالاً تجري في البحر العام وخارج المياه الإقليمية للصومال فتعريف القرصنة وفق القانون الدولي يخرج تلك الأعمال من مصطلح القرصنة، لأن التعريف يقول إن هذا العمل إذا تم في البحر العام بمشاركة من سلطة حكومية مسئولة فلا يعد قرصنة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

> لكن هذا الشرط غير متوافر علي أساس أنه لا توجد حكومة مسئولة في الصومال؟

- هذا العنصر متوافر لأن الدولة موجودة رسميا. القانون الدولي لا يصنف هذه الأفعال إلا في كونها أعمال إكراه، وبخلاف ذلك فلم يحدث سلب أو نهب ولا غير ذلك من شروط القرصنة. الأمريكان وغيرهم ظلوا يروجون لأن أعمال القرصنة هذه تهدف إلي تمويل جناح حركة شباب المجاهدين في الصومال والربط بين القرصنة والإرهاب، وأن هناك اتصالاً بالقاعدة وغير ذلك من الشائعات التي لم تثبت بحال من الأحوال، لأن معظم عمليات اختطاف السفن تتم بعيدا عن مجال نشاط حركة المجاهدين الموجودة في جنوب الصومال، في الوقت الذي تتم فيه جميع الأعمال في شمال الصومال حتي خليج عدن. أي أن منطقة الأحداث بعيدة عن نطاق شباب المجاهدين. الأمر الآخر، لو أن أموال الفدية تستخدم لتمويل الحرب وأمراء الحرب وحركة شباب المجاهدين، كان الأجدر بهم الاستيلاء علي الـ ٢٤ دبابة المرسلة من أوكرانيا لجهة ما غير معلومة، وكان من المتوقع أن تخل هذه الدبابات بميزان القوة في الصراع الدائر في الصومال. بل أن الثابت في هذا الشأن هو العكس تماما، أنه في فترة حكم المحاكم ومنذ منتصف عام ٢٠٠٦ حتي نهاية نفس العام، فإن أعمال السطو تطورت إلي حد بعيد، ولم تذكر أي من التقارير الدولية أن تلك أعمال قرصنة.

> هل تبرئة حركة شباب المجاهدين يعني تورط أمريكا أو وقوفها وراء عمليات السطو؟

- هناك دلائل عديدة علي ذلك . أولا: لم يثبت أن الحركات المسلحة وتحديدا حركة شباب المجاهدين التي كانت تقاتل عبد الله يوسف - رئيس الدولة آنذاك والذي استقال فيما بعد- والقوات الأثيوبية، لم يثبت إطلاقا أن لها علاقة بعمليات السطو، لأنه من حيث المكان لم تكن أماكن السطو هي أماكن تواجدها. ومن حيث الهدف، لكان من الأجدر أن تستغل حركة شباب المجاهدين الدبابات الأوكرانية في الصراع الذي تخوضه في الداخل. بل إن أعمال السطو تطورت جدا عقب دخول القوات الأثيوبية والحكومة الانتقالية والرئيس عبد الله يوسف إلي "مقديشو" والاستيلاء علي السلطة بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك العديد من التقارير التي تشير إلي أمرين هامين، أن مسئولي ميناء "مقديشو" سهلوا هذه العملية، وأن الرئيس عبدالله يوسف كان يحصل علي نصيب من الفدية، وأن معظم العمليات تتم في شمال شرق الصومال وتحديدا من بلاد " بُنط" التي أعلنت الحكم الذاتي، وهي موطن رأس عبدالله يوسف.

> هذه الدلائل إدانة للرئيس الصومالي وليس لأمريكا ولا يمكن أن ندلل بتورط عبدالله يوسف في تلك العمليات علي تورط أمريكا لأنها جاءت به؟

- بالتأكيد.. ولكن الثابت أن معظم العمليات تتم من بلاد " بُنط" موطن رأس الرئيس عبدالله يوسف، وكان يحصل علي نصيب من الفدية. فإذا أضفنا إلي ذلك، أن هناك ٤ شركات أمن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أجنبية، أمريكية وفرنسية وكندية وشركة "الحبيب" السعودية التي لم تستمر في عملها، تشارك هؤلاء بعقود عمل بين بلاد "بنط" وهذه الشركات، وبين عبدالله يوسف وهذه الشركات، تحت دعوي الحماية والأمن. وقد ثبت في بعض الأحيان، حين تم أسر بعض من يطلق عليهم قراصنة من قبل "تايلاند"، أنهم ينتمون إلي شركة الأمن الكندية، وتمت محاكمتهم وقضت المحكمة علي كل واحد بـ ١٠ سنوات سجناً. ومن الدلائل الهامة، التي رواها الكابتن "دارش" أحد رؤساء السفن الروسية التي تمت اختطافها من قبل المسلحين، قائلا: "كان أول من قابلني علي ظهر السفينة، رجل اسمه "أندرو" قال وقتها أنا أقوم بدور المترجم وهذا هو قائدنا عمر، ثم استدار بوجهه نحو عمر قائلا : "نفذ ما يطلب منك".. إن "أندرو" لا يمكن أن يكون صوماليا بأي حال من الأحوال ولا يمكن أن تكون وظيفته الترجمة وإلا ما تحدث لقائده بصيغة الأمر". إذا أضفنا لكل هذا أن تلك العمليات شهدت نشاطا مكثفا مع دخول القوات الأثيوبية إلي الصومال تحت المظلة الأمريكية، التي دخلت مع الحكومة الانتقالية في بداية ٢٠٠٧.. كل هذه الدلائل تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكة هي من يقف وراء كل هذه العمليات.

> ما الهدف الأمريكي من تلك اللعبة؟

- الولايات المتحدة الأمريكية منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية تسعي لإقامة نظام إمبراطوري. فلا أحد ينكر أن هناك مشروعاً إمبراطورياً أمريكياً للهيمنة علي العالم، وهو يأخذ مسارين. الأول منهما، هو العصف وضرب كل قواعد القانون الدولي المستقرة منذ الحرب العالمية الثانية لأنها تقيد حركتها، وقد وضح ذلك في ظل القطبية الثنائية. والأدلة علي ذلك كثيرة، منها مبدأ احترام الحدود الذي لا تحترمه. ومبدأ السلامة الإقليمية للدولة القائم علي عدم تمزيق الدول، في الوقت الذي قامت أمريكا بتمزيق يوغوسلافيا والصومال والعراق تحت مسمي الفيدرالية وتحاول الآن مع السودان. كما تقوم بما يسمي بالحروب الاستباقية، رغم أنها غير مهددة. الأكثر من ذلك، هو ما يسمي بالتدخل الإنساني في شئون بعض الدول، رغم أن هذا شأن داخلي للدولة ليس لأحد أن يتدخل فيه.

> أليس في هذا تناقض بين الهدف والاستراتيجية البحرية اللذين تتحدث عنهما وبين الممارسات الأمريكية الفعلية التي تقوم علي العمل العسكري برا وجوا في أفغانستان والعراق؟

- التحرك الأمريكي نحو البحر بدأ بالفعل، فنحن نعلم أن التواجد الأمريكي في قناة "بنما" يمتد لأكثر من قرن، فهناك شركة أمريكية هي التي أقامت تلك القناة ومازالت تسيطر علي الملاحة بين الأمريكتين. كما أن حرب الخليج الأولي والثانية جاءت بالقوات الأمريكية في العراق والبحرين وقطر، أي أنهم باتوا في الخليج العربي ومضيق "هرمز". قبل ذلك، فإن القوات متعددة الجنسيات

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

- وفق اتفاق "كامب ديفيد" - موجودة في سيناء، وهي قوات أمريكية وتمثل قاعدة أمريكية في سيناء، وإذ لم يكن ذلك، فهي علي أقل تقدير تحت القيادة الأمريكية في سيناء وبالقرب من قناة السويس. كما أن أمريكا موجودة في "الدردنيل" و"البسفور" بحكم علاقتها بتركيا. والجديد أن القيادة الأمريكية العسكرية أصبحت موجودة في المغرب عند جبل طارق. عليك أن تتوقف هنا وتتأمل السياسة الأمريكية الرامية للسيطرة علي المضايق. "بنما" و"جبل طارق" و"قناة السويس" و"الدردنيل والبسفور" و"هرمز". ماذا بقي من المضايق في المنطقة؟.. لم يبق لها سوي المنطقة المتاخمة لخليج "عدن" حيث الممر حول أفريقيا من ناحية، والممر إلي باب المندب وصولا إلي قناة السويس من ناحية أخري. فلم يبق من مناطق إحكام السيطرة البحرية الأمريكية إلا تلك المنطقة، وهي مسألة غاية في الأهمية والخطورة، لأنها سوف تؤمن لها إمدادات البترول من ناحية، وتتيح لها التحكم في قناة السويس وما يمر بها من سفن. أي أن أمريكا بعملياتها الأخيرة قبالة السوحل الصومالية أصبحت تتحكم في الملاحة البحرية بالكامل.

> كانت أمريكا أول من أثار قضية القراصنة قبالة السواحل الصومالية وكان يمكنها أن تصمت إزاء تلك الممارسات لتجني ثمارها كما خططت لها، فهل لهذه المبادأة هدف معين أرادت أن تحققه؟

- أولا: استطاعت أن تستصدر ٣ قرارات من مجلس الأمن، باعتبار أن هذه قرصنة - وهي ليست كذلك - وقد نصت قرارات مجلس الأمن علي حق التدخل لردع المسلحين، وهي بذلك اكتسبت شرعية التواجد في المنطقة التي كانت تسعي للتواجد والسيطرة عليها، ولو كانت أمريكا تريد القضاء علي تلك الممارسات بين يوم وليلة لفعلت، لكنها لا تريد ذلك. ومما يؤكد ذلك، أن الولايات المتحدة الأمريكية لها قوات في "جيبوتي" في القاعدة الفرنسية في "جيبوتي"، ولها قاعدة في المحيط الهندي "ديجو جارسيا" وهي من أكبر قواعدها العسكرية. ومن المعروف أن القراصنة ينطلقون من ميناء يسمي ميناء "إيل" في بلاد " بُنط". أكثر من ذلك، وأنا جالس هنا أعرف أن القراصنة يسهرون كل ليلة في مقهي تسمي "دنجي" في ميناء "إيل". فالمسألة ليست كما تصورها أمريكا، لأن السفن التي يتم اختطافها ليست قطع مخدرات، يمكن إخفاؤها في جبال "تورا بورا" في أفغانستان، لكنها ناقلات بترول ضخمة جدا، يتم رصد حركتها بواسطة الأقمار الصناعية، ومن السهل تحديد مكان السفية، كما أن أجهزة المخابرات تعرف المسلحين جيدا وتعرف كيفية القضاء عليهم. فلو أن أمريكا تريد القضاء علي تلك الظاهرة لفعلت، لكنها لا تريد ذلك، إذن فإن أمريكا اكتسبت مشروعية التواجد في تلك المنطقة، وفي نفس الوقت، فقد أثارت ذعر كل دول العالم التي أرسلت أساطيلها تحت القيادة الأمريكية، مما قلل التكلفة المادية، وحال دون تكوين صورة ذهنية معادية لأمريكا، لأنها بهذا الشكل تقود المجتمع الدولي نحو تحقيق

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

السلام والأمن الدوليين في إطار الشرعية التي صدرت من مجلس الأمن الدولي.

> كيف تري الإجراء الذي قامت به الصين لأول مرة في تاريخها بإرسال حاملة طائرات إلي المنطقة؟

- يبدو أن الصينيين يفهمون اللعبة الأمريكية، بأنها تريد أن تسيطر وتتحكم في ملاحة تلك المنطقة. فدفعوا بحاملة الطائرات كي يكون لهم وجود في المنطقة يؤمن الملاحة الصينية في المنطقة. فالقضية ليست مواجهة قراصنة، إنما هي تحقيق أهداف وتأمين مصالح. لكن مع كل هذا، فنحن إذاء تحول أمريكي من العمل العسكري البري إلي العمل البحري.

> وسط هذا السيناريو المعقد وتداخل المصالح بين الدول الكبري في المنطقة، هل من الممكن أن تدفع مصر بقطعة أو قطعتين بحريتين للمساهمة في تلك العمليات بهدف تأمين قناة السويس؟

- مصر أرسلت لليمن في بداية الستينيات قوات تتجاوز ٥٠ ألف جندي بأساطيلها البحرية، أليس في استطاعة دولة بهذه القوة القضاء علي تلك الظاهرة؟.. أقول لك، إن مصر تستطيع القضاء عليها، لكنها ممنوعة من القيام بهذا الدور.

> من الذي يمنعها؟

- أمريكا.. هي التي قيدت تلك القدرة ومنعتها من القيام بدورها في مواجهة تلك الظاهرة. فمن غير المعقول أن مصر والسودان واليمن والسعودية والأردن، وجميعها دول لها مصالح في تلك المنطقة علي ساحل البحر الأحمر، لا تستطيع القضاء علي تلك الظاهرة، فهذه الدول ممنوعة من القيام بفعل ضد المسلحين، رغم التصريحات التي تخرج بين الحين والآخر من بعض تلك الدول، أنها تشارك الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة القرصنة.

> ما السيناريو المقبل في الأزمة لصراع الدول الكبري علي المنطقة؟

- أولا: لا يوجد ما يسمي بصراع القوي الكبري أو تنافسها مع بعضها. حتي في مرحلة الحرب الباردة، لم يكن هناك تنافس ولا صراع، فقد رصدت السلوك الصيني أثناء الحرب الباردة. فالصين كانت تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لأقصي حد لمواجهة الإتحاد السوفيتي، وكان لها وجود في شق حركات التحرير التي تعتمد علي الإتحاد السوفيتي. فتجد مثلا، «فريد ليمو» زعيم حركة "فريليمو" في موزمبيق يعتمد علي الصين بالدرجة الأساسية وهو في ذات الوقت، أستاذ في جامعة "سيراكوس" الأمريكية ومتزوج من أمريكية. فالصين كانت تصنف الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة علي أنه العدو الأول لها، كما أن شبكة العلاقات التجارية والاقتصادية بين الصين وأمريكا ضخمة جدا، لدرجة تفوق كل دول العالم في تعاملاتها مع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أمريكا. هذا يعني أن السياسة الصينية تجاه أمريكا قائمة علي التعاون وليس الصدام، وهكذا العلاقات الفرنسية الأمريكية، فقد حدث أن فتحت فرنسا قاعدة عسكرية لها في جيبوتي - وهي أكبر قاعدة عسكرية لها في المنطقة - فتحتها لأمريكا وبها حوالي ٢٠٠٠ جندي أمريكي. فهذه الدول تقدم تنازلات لبعضها لأنها تدرك أن الصدام لا يحقق مصلحة، وهذا ما يحدث في الأزمة الحالية ومحاولة كل دولة للاستحواذ علي نصيبها في القضية.

> ما الهدف الذي أرادته أمريكا من اصطناع تلك الأزمة؟

- أري أن أمريكا كانت تريد من تلك العملية جزيرة "سوقطرة" اليمنية لتقيم فيها قاعدة عسكرية، وقد سبق أن طالبت أمريكا بذلك لكن اليمن رفض هذا الطلب. وأعتقد أن أحد تداعيات تلك الأزمة أن تقبل اليمن بوجود قاعدة عسكرية أمريكية في الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي، خاصة أن تلك الجزيرة أقرب للسواحل الصومالية من اليمن نفسها، حتي أن ابناءها أقرب للصومال من حيث الشكل ولون البشرة من الصومال عن اليمن.

> هناك من يعتقد بأن لإسرائيل يداً في تلك الأزمة، فما احتمالية ذلك؟

- لا أحد ينكر أن هناك تنسيقاً أمريكياً إسرائيلياً في المنطقة، وأن المنفذ الأساسي لإسرائيل علي القارة الأفريقية هو البحر الأحمر من خلال ميناء إيلات. فشئنا أو لم نشأ، فهي دولة لها مصالح في البحر الأحمر ولا تريد أن تدخل في صدام عربي إسرائيلي - أعتقد أنه لن يكون - تكون من نتائجه إغلاق باب المندب كما تم إغلاقه في ١٩٧٣. ومن ثم يبقي تدخل إسرائيل في تلك الأزمة قائما لتأمين مصالحها في الملاحة البحرية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية